التعريف والنقد
الفراسة عند العرب

القسم الثالث

عبد الكريم زهور عدي

الفراسة عند الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤)

من أخبار فراسة إياس بن معاوية هذا الخبر[٥٦] : « .. عن إبراهيم بن مرزوق البصري : كنا عند إياس بن معاوية قبل أن يستقضي وكنا نكتب عنه الفراسة كما نكتب عن المحدث الحديث » فما الذي كانوا يكتبون ؟ قد نتبين الجواب في تتمة الخبر : « إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد ، فجعل يترصد الطريق ، فبينا هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً فنظر إلى وجهه ثم رجع إلى موضعه . فقال إياس : قولوا في هذا الرجل . قالوا : ما نقول ؟ رجل طالب حاجة . فقال : هو معلم صبيان قد أبق له غلام أعور . فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته فقال : هو غلام لي آبق . قالوا : وماصفته ؟ قال : كذا وكذا وإحدى عينيه ذاهبة . قالوا : وماصنعتك ؟ قال : أعلم الصبيان . قلنا لإياس : كيف علمت ذلك ؟ قال : رأيته جاء فطلب موضعاً يجلس فيه فنظر إلى أرفع شيء فجلس عليه ، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك ، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك فلم أجدهم إلا المعلمين فعلمت أنه معلم صبيان . فقلنا : كيف علمت أنه أبق له غلام ؟ قال : إني رأيته يترصد الطريق ينظر في وجوه الناس . قلنا : كيف علمت أنه أعور ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال : بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً قد ذهبت إحدى عينيه فعلمت أنه شبهه بغلامه . » فالذي كانوا يكتبونه ، كما يبدو من هذا الخبر ، حكايات أو مشاهدات عن فراسات صادقة مصحوبة بكشف عن الأسباب أو بالأحرى الملاحظات التي ترتب عليها صدق الفراسة ، أو هو بتعبير آخر تعليم بالأمثلة والنماذج والأسوة . ولكن الأهم من ذلك كله **أن الفراسة كانت تكتب في أواخر القرن الأول** ، أي قبل نقل الكتب اليونانية فيها بزمان غير قصير ، إذ أن إياساً استقضي في خلافة عمر بن عبد العزيز وعمر توفي سنة ١٠١ .

وروى عبدالله بن الزبير الحميدي القرشي عن الشافعي أنه قال[٥٧] : « خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها » . وإذن قد **كان في الفراسة كتب في الربع الثالث من القرن الثاني** . فماذا كانت هذه الكتب ؟ هل كانت مجرد أخبار عن الفراسة والمتفرسين مشروحة ومعللة أو غير مشروحة ولا معللة ؟ إن الحادثة التي حكاها الشافعي بعد قوله هذا مباشرة تنفي ذلك . قال : « ثم لما كان انصرافي مررت في طريقي برجل محتب بفناء داره أزرق العين ناتئ الجبهة سناط . فقلت له : هل من منزل ؟ قال : نعم . قال الشافعي : وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة . فأنزلني ، فرأيت أكرم رجل : بعث إلي بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف . وجعلت أتقلب الليل أجمع : ما أصنع بهذه الكتب ؟ فلما أصبحت قلت للغلام : أسرج فأسرج . فركبت ومررت عليه وقلت له : إذا قدمت مكة ومررت بذي طُوى فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي . فقال لي الرجل : أمولى لأبيك أنا ؟ قلت : لا . قال : فهل كانت لك نعمة عندي ؟ قلت : لا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال : فأين ما تكلفت لك البارحة ؟ قلت : وما هو ؟ قال : اشتريت لك طعاماً بدرهمين وأدماً بكذا وعطراً بثلاثة دراهم وعلفاً لدابتك بدرهمين وكراء الفراش واللحاف بدرهمين . قلت : ياغلام أعطه . فهل بقي من شيء ؟ قال كراء المنزل فإني وسعت عليك وضيقت على نفسي . فغبطت نفسي بتلك الكتب . فقلت له بعد ذلك : هل بقي من شيء ؟ قال : امض أخزاك الله ، فما رأيت قط شراً منك » . فهذه الكتب لم تكن إذن تنطوي على أخبار عن فراسة المتفرسين فقط ، ولكنها تنطوي أيضاً على قواعد في الفراسة تربط ملامح بدنية محددة بطبائع وأخلاق محددة . فالاستقبال الحسن الذي لقي الشافعي به « الرجل الأزرق العين الناتئ الجبهة السناط ، وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة » ، أسهر ليله بما أثار في نفسه من شكوك في صحة هذه القواعد ، فلما أسفر الصباح عن حقيقة الرجل تأكدت لديه قواعد الفراسة و « غبطت نفسي بتلك الكتب » .

والشافعي ، كما صوره الرواة ومصنفو كتب التراجم والمناقب ، رجل حاد الذكاء قوي العقل محب للمعرفة والعلم . قال[٥٨] : « ما تُقُرب إلى الله بشيء بعد أداء الفرائض أفضل من طلب العلم » :

خرج إلى هذيل يأخذ عنها اللغة حتى امتلك ناصيتها . قال أبو عبيد القاسم بن سلام[٥٩] : « الشافعي ممن يؤخذ عنه اللغة » . وأحاط علماً بعادات العرب وعلومهم الموروثة : الأنساب والأيام والشعر والأنواء والقيافة والزجر الخ ... قال الأصمعي[٦٠] : « صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له محمد بن إدريس الشافعي » .

وقعد في حلقات المسجد الحرام يأخذ الحديث والفقه والقراءات عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

علماء مكة سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي وآخرين . وقصد مالك بن أنس فقرأ عليه « الموطأ » واستمع إلى فتاواه . ورحل إلى اليمن في طلب كتب الفراسة . وانفق ستين ديناراً على كتب محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة . بل إن الرواة ليعزون إليه العلم بأحكام النجوم وطب يونان والهند وفارس[٦١] .

والذي يهمنا في هذا البحث تلك العلوم القريبة من الفراسة ثم ألحقت من بعد بها مثل القيافة والريافة ... أو بقيت إلى جوارها مثل الزجر والأنواء وتفسير الأحلام . ولقد كان للشافعي ممارسة في بعضها وعلم ببعضها :

قال الربيع بن سليمان : « كان لي أخ يقال له وكيع . وكنت يوماً عند الشافعي فرآه من بعيد ، فقال : ياربيع هذا أخوك ؟ قلت : نعم ،قال : ممن أنت ؟ قلت : من مراد ... »

وسئل الشافعي عن قول النبي ﷺ : « أقروا الطير على مكناتها » فقال[٦٢] : « إن علم العرب كان في زجر الطير والبوارح والخط والاعتياف . فكان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أول طائر يراه فإن سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه قال : هذا طير الأيامن فمضى في حاجته ورأى أنه مستنجحها ، وإن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال : هذا طير الأشائم فرجع وقال : هذه حاجة مشئومة ... وكانت العرب في الجاهلية إذا لم ير طائراً سانحاً فرأى طائراً في وكره حركه من وكره ليطير فينظر : أيسلك طريق الأشائم أو طريق الأيامن . فيشبه قول النبي ﷺ « أقروا الطير على مكناتها » أي : لاتحركوها فإن تحريكها وماتعملونه من الطيرة لايصنع شيئاً إنما يصنع فيما توجهون به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قضاء الله تعالى ... » ويروى أن اسحاق بن راهويه قال لأحمد بن حنبل حين سمع هذا التفسير (وكان أحمد يفسر الحديث : دعوا الطير في ظلمة الليل في أوكارها) : يا أبا عبد الله لو لم نرحل من العراق إلى الحجاز إلا في تفسير هذا الحديث لكانت لنا غنيمة ويروى عن محمد بن المهاجر قوله : فسألت الأصمعي عن تفسيره فذكر بنحو من قول الشافعي ، فسألت عنه وكيع بن الجراح فقال : إنما هو عندنا على صيد الليل ، فذكرت له قول الشافعي فاستحسنه وقال : ماظنناه إلا على صيد الليل .

ولكن الشافعي ، على مايبدو لي ، لم يخلط بين هذه العلوم ، إلا القيافة ، وبين علم الفراسة الحق ، أي بالمعنى الضيق للكلمة . فكل ماروي عنه من أقوال وأفعال يدخل في حدود هذا المعنى :

فأقواله قواعد فراسية تربط بين ملامح وسمات جسدية أو نقص جسدي وبين صفات في الطباع والأخلاق . قال : « احذر الأعور والأحول والأعرج والأجدب والأشقر والكوسج . وكل من به عاهة في بدنه وكل ناقص الخلق فاحذره ، فإنه صاحب التواء ومعاملته عسرة » . وعلق عليه الفخر الرازي بقوله[٦٢] : « واعلم أن هذا الذي ذكره أمر عظيم في علم الفراسة ، وذلك لأن حاصل هذا العلم يرجع إلى الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن . ووجه الاستدلال به : لأن الأحوال الدنية تابعة لكيفية المزاج . والأخلاق الباطنة والصور الظاهرة كلاهما معلولا علة واحدة وهي المزاج . فنقصان الظاهر يدل على نقصان المزاج ونقصان المزاج يوجب نقصان الباطن . فظهر أن الذي قال الشافعي أصل معتبر في هذا العلم » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما أفعاله فتوحي أنه كان يعتمد فيها على قواعد فراسية من نحو :

ماتتركه المهنة من طوابع على صاحبها ، على أعضائه وطريقته في التحرك والسلوك والكلام ، أو من آثار عليه وعلى لباسه . قال الربيع بن سليمان : « كنا عند الشافعي إذ مر رجل فقال الشافعي : لايخلو هذا الرجل من أن يكون حائكاً أو نجاراً . قال : فدعوناه فقلنا : ماصنعتك ؟ فقال : نجار ، فقلنا : وغير ذلك ؟ فقال : عندي غلمان يعملون ، يعني في الحياكة » . وقال الشافعي[٦٤] : « إذا رأيت الكاتب دواته على يساره فليس بكاتب ، وإذا رأيت دواته على يمينه وقلمه على أذنه فذاك كاتب » .

أو مايشترك به أهل البلد الواحد من عادات في اللهجة واللباس والأسلوب في التعامل والسيرة . قال الربيع بن سليمان : « سمعت الشافعي وقدم عليه رجل من صنعاء ، فلما رآه قال : أنت من أهل صنعاء ؟ قال : نعم ، قال : فحداد أنت ؟ قال : نعم » . ويؤكد أن الشافعي يعتمد على قاعدة في تمييزه بلد الرجل يلقاه قوله[٦٥] : « مادخل قوم بلد قوم إلا أخذ كل واحد من سنة صاحبه ، حتى إن العراقي ليأخذ من سنة الشامي والشامي من سنة العراقي » . وعلى سنة البلد كان الشافعي يعتمد في تمييزه أهله من سواهم .

وقد فطن الشافعي إلى أن الخطأ والنسيان والسهو ربما كانت تعبيراً عن شهوة قد لايعترف بها صاحبها حتى لنفسه أو دافع يضطرب في أعماق النفس . قال الربيع بن سليمان[٦٦] : « دفع إلي الشافعي دراهم لأشتري له حملاً وأمرني أن أشويه . قال : فنسيت واشتريت سمكتين وشويتهما ، فأتيته بها ، فنظر فقال : ياربيع اليوم نأكل شهوتك وغداً تأكل شهوتنا » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن قواعد الفراسة لا تنطبق وتؤتي نتائجها تلقائياً ، فهي كما في كل العلوم الإنسانية ترجيحية تقوم على الاحتمال الأكبر . والشافعي ، على مايظهر ، كان على وعي بهذه الصفة للقواعد الفراسية ، وأنها ليست مؤكدة الصحة في حالة فردية معينة ، إذ هي دائماً تحتمل الشذوذ . قال الشافعي[٦٧] : « مارأيت صوفياً عاقلاً قط إلا مسلم الخواص » . وقال[٦٨] : « ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن . قيل له : ولم ؟ قال لأن العاقل لايخلو من إحدى خلتين : إما أن يغتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه ، والشحم مع الغم لاينعقد ... »

كما أن الإنسان قد تتنازعه قواعد فراسية متضاربة فلا يُدرى أيها الغالب وأيها المغلوب ، وهنا تظهر زكانة المتفرس الذي يعتمد على مظهر ما أو قول ما أو سلوك ما لترجيح غلبة قاعدة على قاعدة . وقد أوتي الشافعي من الزكانة حظاً كبيراً ، وكان يعرفها في نفسه ، فقال على طريقة الشعراء مفتخراً[٦٩] :

إذا المشكلات تصدَّينَ لي ... كشفتُ حقائقها بالنظرْ
وإن برقت في مخيل السحا ... ب عمياء لاتجتليها الفكَرْ
مقنعةٌ بغيوب الغُيوم ... وضعتُ عليها حسامَ البصر
ولست بإمَّعةٍ في الرجال ... أسائل هذا وذا ماالخبر
ولكنني مِدْرَهُ الأصغرَيْنِ ... أقيس بما قد مضى ماغبر

وهناك حالات خاصة لا يلجأ المتفرس فيها إلى قاعدة ، بل هي الزكانة وحدها تحيط سريعاً بالملابسات والمناسبات وتلتقط ظواهر من السلوك أو الكلام هينة لا تكاد تلحظ لتعرف الشخص أو تقدير الموقف أو الكشف عن خبايا الأنفس :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أخبر أحمد بن أبي الحسين المزكي قال[٧٠] : « كان الشافعي يفتي في الجامع ببغداد فجاء عمرو بن بحر الجاحظ فسأله فقال : ياأبا عبد الله ما تقول في رجل خصي ديكاً ؟
فقال الشافعي : أرأيته ؟ وأراك أبا عثمان ؟ » .

وقال الربيع بن سليمان[٧١] : « حضرت مجلس الشافعي فجاءه غلام كأنه غصن بان فناوله رقعة ، فضحك الشافعي لما أجابه عنها وضحك الغلام كذلك لما تناول الرقعة . فتعجبت منه فتبعته فأقسمت عليه أن يريني ، فأرانيها فإذا سطران مكتوبان في السطر الأول :

سل المفتي المكي هل في تزاور وقبلة مشتاق الفؤاد جناح

فأجاب الشافعي في السطر الثاني :

أقول : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع : فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا ، فقال لي : يا أبا محمد ، هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر ، يعني شهر رمضان ، وهو حدث السن ، فسأل : هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذا . قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله ، فذكر لي مثلما قال الشافعي . قال : فما رأيت فراسة أحسن منها » .

بل بلغ الشافعي في الفراسة مرتبة التنبؤ بالمصاير ، فقد تنبأ لأربعة من كبار تلاميذه بما سيصيرون إليه فصدقت نبوءته :

قال الربيع[٧٢] : « دخلنا على الشافعي عند وفاته أنا والبويطي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمزني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم . قال : فنظر إلينا الشافعي ساعة فأطال ، ثم التفت إلينا فقال : أما أنت يا أبا يعقوب فتموت في حديدك ، وأما أنت يامزني فستكون لك بمصر هنات وهنات ولتدركن زماناً تكون أقيس أهل ذلك الزمان . وأما أنت يامحمد فسترجع إلى مذهب أبيك (مذهب مالك) . وأما أنت ياربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب . قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة . قال الربيع : فكان كما قال » .

فهل نقول في الشافعي ماقاله يوسف مراد[٧٣] : « ... إلا أن هذا الحدس هو أقرب إلى فراسة الصوفية منه إلى علم الفراسة » ، وقال : « إنه من المحتمل جداً أن الشافعي قد أضاف إلى موهبته في التنبؤ الصوفي التي ترجع إلى سمو منزلته روحياً علمه بالفراسة ونسخه لكتب الفراسة » ؟ إن حياة الشافعي الروحية كانت بالتأكيد غنية وعميقة ولكنه لم يكن صوفياً ، وهو القائل :[٧٤] « لو أن رجلاً تصوف من أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق » . فالشافعي كان من يقظة العقل وقوة المنطق والحس الحي الحار بالواقع ما حال بينه وبين الغيبوبة الصوفية . كان ملهماً ولكن على « الطريقة العمرية » ، أي إن إلهاماته كانت عقلية لها دائماً مقدماتها ودواعيها العقلية والواقعية . وما كان تنبؤه بمصاير تلاميذه من باب الرجم بالغيب ولكنه توقع عقلي قائم على معرفة مؤكدة بطباع هؤلاء التلاميذ وأخلاقهم وبنيانهم النفسي الداخلي .

والحادثة الثانية التي قد يُرى أنها من التنبؤ بالغيب ما هو وارد في هذه الرواية[٧٥] : « قال حرملة : فلما وقع في (مرض) الموت خرجنا من عنده ، فقلت لأبي : كل فراسة للشافعي وجدناها إلا قوله : يقتلني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أشقر ، وهاهو في السياق . فرأينا عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمر ، فقلنا : إلى أين ؟ قالا : إلى الشافعي . فما بلغنا المنزل حتى أدركتنا الصوائح . قلنا : مالكم ؟ قالوا : مات الشافعي رحمه الله . فقال : من غمّضه ؟ قالوا : يوسف بن عمر . وكان أزرق العينين » . ولكنها أيضاً ليست من التنبؤ في شيء . فالشافعي على مايظهر قد لقي في حياته أذى كثيراً من أناس شقر زرق العيون ، وذكرنا من قبل نبأ « الأزرق العين الناتئ الجبهة السناط » ، حتى قال[٧٦] : « ماجاءني خير قط من أشقر » . وأصبح يتطير بمن كانت هذه صفته ، وقد وردت أخبار عن تشاؤمه بهؤلاء : ردّ مرة طيباً لأنه ابتيع من أشقر كوسج وعزف أخرى عن أكل عنب أبيض كان يشتهيه ، حتى قرّ في روعه أن هلاكه سيكون على يد واحد من هؤلاء فقال : « ليس يقتلني إلا الأشقر » . فأخذ من حوله ، وهو في السياق ، يترصدون صدق هذه النبوءة ، فأوقعت المصادفة المسكين يوسف بن عمر الذي لم يفعل بالشافعي الميت إلا الخير حين غمض له عينيه .

وهنا تواجهنا هذه المسألة : هل كانت للشافعي كتابات في الفراسة ؟

يذكر له بروكلمان[٧٧] كتاباً في علم القيافة ثم يتساءل : « هل هو صحيح النسبة إليه ؟ » ويتبعه يوسف مراد فيقول[٧٨] : « ... ولكن مكتبة المدرسة الإسلامية في الجامع الكبير في الموصل فيها مخطوط عن الفراسة منسوب للشافعي : كتاب في علم القيافة ... ومن المحتمل أن هذا الكتاب ليس من تأليف الشافعي ، وأن أحد تلاميذه قد جمع أقواله ... » والرأيان كلاهما قائمان على الظن . وكان مستند الدكتور مراد فهرست

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن النديم[٧٩] إذ لم يذكر فيه للشافعي هذا الكتاب (وذكر له ١٠٩ كتب) ، وكذلك ابن حجر[٨٠] لم يذكره له بين الكتب التي نقل أسماءها عن البيهقي[٨١] (ذكر له البيهقي ١٣ كتاباً تجمع الأصول وتدل على الفروع و ١٢٨ كتاب في الفروع وهي التي تعرف بالأم ، ثم ذكر له ستة عشر كتاباً روى منها عنه الربيع عشرة ، ثم ذكر كتاب السنن ويشتمل على هذه الكتب وفيه زيادات كثيرة ... ويقول أخيراً : ثم له في سائر أنواع العلوم حظ وافر) . ولم يلتفتا ـ بروكلمان ومراد ـ إلى ماورد في كتاب « علم الفراسة لأجل السياسة » لشيخ الربوة محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي من نقول عن الشافعي ، على الرغم من اطلاعهما عليه .

والمرجح عندي أن شيخ الربوة كان يرجع ، وهو يصنف كتابه ، إلى كتب « للحكماء السبعة » ، الذين ذكرهم في مقدمة كتابه ،ينقل عنها الأقوال ويرتبها : أفليمون (بوليمون) : كتاب الفراسة ـ ارسطو : كتاب سر الأسرار ـ أبو بكر الرازي : كتاب المنصوري ـ فخر الدين الرازي : كتاب الفراسة ـ ابن عربي : الفتوحات والتدبيرات .. ـ إيلاوس (ميلامبوس) : كتاب الخيلان والشامات . وما أظن أن الشافعي كان بينهم حالة شاذة بل الأرجح أن قد كان له هو أيضاً كتاب بين يدي شيخ الربوة . ويؤكد هذا الاستنتاج أن صاحب « كشف الظنون »[٨٢] يذكر للشافعي كتاباً عنوانه « التنقيح في علم القيافة » ، وكذلك البغدادي في « هدية العارفين »[٨٣] ، وغير بعيد أن تكون مخطوطة الموصل نسخة من هذا الكتاب .

فإذا رجعنا إلى كتاب شيخ الربوة[٨٤] نجد أنه نقل عن الشافعي أربعة وستين قولاً أو قاعدة فراسية . فلننظر أولاً : هل يتفق مانقله عنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرواة من أقوال وأفعال مع مانقله عنه الشيخ ؟ إن مانقله عنه الرواة قليل ، ولكن لنتذكر موقفه ورأيه في الأشقر الأزرق العين الناتئ الجبهة ولنقارنه بما جاء فيمن يتصف بهذه الصفات في كتاب شيخ الربوة نقلاً عنه قال : « الجبهة الناتئة في وسطها تدل على الحرص والشح » . وقال : « الجبهة الناتئة المعقدة دليل الخيانة والغش » . وقال : « العين البراقة الزرقاء بصفرة زرنيخية والخضراء كالفيروزج وفيها مع ذلك نقط حمر كالدم أو بيض شبيهة بالمسامير دليل الخيانة والشر والسوء » .

ولننظر ثانياً في كتاب الشيخ كشفاً عن مدى اتفاق أقوال الشافعي مع أقوال صحبه الحكماء الخمسة واختلافها : استقل الشافعي بخمسة وأربعين قولاً من أربعة وستين ، واتفق مع بوليمون في قول واحد ومع أرسطو في قولين ومع أبي بكر الرازي في قولين ومع ابن عربي في ستة أقوال ومع فخر الدين الرازي في ثمانية أقوال . ومعنى ذلك أن **الكتاب المنسوب للشافعي مستقل عن الكتب اليونانية ومتقدم في وجوده على ترجمتها** إذ لو تأخر عنها لتأثر بها ولكان التشابه بينه وبينها أكبر وأكثر . فإذا صح أن « سر الأسرار » من ترجمة يوحنا بن البطريق وهذا قد مات نحو سنة ٢٠٠ ، وكان أفليمون ، وقد ذكره الجاحظ في كتاب « الحيوان » ونعته بصاحب الفراسة ، معروفاً لدى العرب في النصف الأول من القرن الثالث على الأقل ، يكون الكتاب المنسوب للشافعي قد ظهر في القرن الثاني أي في حياة الشافعي .

ولننظر ثالثاً في اسم الكتاب كما ورد في كشف الظنون « التنقيح في علم القيافة » : إن هذا الاسم وحده ينبئ أن الكتاب صنف في عهد مبكر من التاريخ الإسلامي ، حين لم يكن مصطلح « علم الفراسة » ، لا مصطلح الفراسة ، قد استقر ، ولذلك رأى فيه مصنفه أنه تنقيح أي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تهذيب لعلم القيافة ، أو بتعبير آخر هو طور من علم القيافة أعلى وأشمل كما ينبئ عن أصل علم الفراسة العربي فهو علم القيافة وقد نما واتسع .

فهل لنا الحق بعد ذلك أن نرجح :

أولاً : أن **كتاب « التنقيح في علم القيافة » أصيل النسبة إلى الشافعي** ، إن لم يكن قد كتبه هو فقد كتبه تلميذ من تلاميذه رواية عنه فهو راجع في النهاية إليه . وعلينا هنا أن نتذكر أن الشافعي تحدث عن كتب في الفراسة موجودة قبله وأنه كتبها وجمعها . ولكن مؤلفات الشافعي في الأصول والفقه طغت على هذا الكتاب فأغرقته في غمرة الإهمال والنسيان .

ثانياً : **أن علم الفراسة نشأ في الحضارة الإسلامية في أواخر القرن الثاني بالاستقلال عن التراث اليوناني وقبل ترجمة الكتب اليونانية ، وأنه استمد أصوله من علوم عربية قديمة مثل القيافة ومن تقاليد إسلامية ترجع إلى القرآن والحديث ومن ممارسات فردية ذكرنا طرفاً منها ، وكذلك من علوم قديمة وتقاليد عتيقة مستقرة في هذه المنطقة من الشرق .**

وعلينا هنا أيضاً أن نتذكر أن أفليون طرسوسي ، وطرسوس بلد من سورية (القفطي يرجح أنه شامي) ، وأن كتاب « سر الأسرار » يقول عنه بروكلمان معتمداً على دراسات لمستشرقين آخرين[٨٥] : « كتاب لفقه أحد العرب في القرن العاشر أو الحادي عشر من مصادر مختلفة » . فالأولى أن يكون اليونان هم الذين استمدوا علم الفراسة من أمم الشرق من أن يكون العكس .

هل لنا هذا الحق ؟ قد يكون في مصورة عن مخطوطة الموصل مايفيد في الجواب .

للبحث صلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجع والتعليقات

(٥٦) ابن القيم ، الطرق الحكمية ، ص٣٣

وكيع محمد بن خلف بن حيان (ـ ٣٠٦) ، أخبار القضاة ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ، عالم الكتب ، بيروت طبعة مصورة .

(٥٧) ماكتب في الشافعي كثير ، والكتب المخصصة لذكر مناقبه كثيرة . وفيما يلي بعض من الكتب التي اطلعت عليها وفيها ذكر لفراسته ، والنقول التي أهملت رجعها إلى مصدر ترجع إلى هذه الكتب في الصفحات المحددة :

١ ـ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ ـ ٣٢٧) ـ آداب الشافعي ومناقبه ، ص ١٢٩ ـ ١٣٦ ـ تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، مصر ١٩٥٣ .

٢ ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ـ ٤٣٠) ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج ٩ ، ص ٦٣ ـ ١٦١ لاسيما الصفحة ١٤٤ ، بيروت ١٩٦٧ طبعة مصورة .

٣ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٧٤ ـ ٤٥٨) ـ مناقب الشافعي ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٧ ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار التراث ، مصر ١٩٧١ .

٤ ـ فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦) ـ مناقب الإمام الشافعي ، ص ٢٠٨ ـ ٢١١ ـ طبع وتصحيح أحمد بن محمد بن شيخ باعلوي ١٢٧٩ .

٥ ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ـ ٧٥١) ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٣ ـ بيروت ، طبعة مصورة .

٦ ـ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني (ـ ٨٥٢) ـ توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس ، ص ٦٥ و ٦٦ ـ طبعة بولاق .

(٥٨) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٥٩) ـ المرجع نفسه ، ص ٤٤ .

(٦٠) ـ المرجع نفسه ، ص ٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٦١) ـ ارجع إلى أجوبة الشافعي على أسئلة الخليفة هارون الرشيد لما حمل إليه من اليمن ـ البيهقي ، ج ١ ، ص ١٣١ ـ ١٣٦ .

(٦٢) ـ ابن أبي حاتم ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ .

البيهقي ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٩ .

(٦٣) ـ الفخر الرازي ، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٠ .

(٦٤) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٦٥) ـ المرجع نفسه ، ص ٢١٤ .

(٦٦) ـ المرجع نفسه ، ص ٢٣٤ .

أبو نعيم ، ج ٩ ، ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٦٧) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٦٨) ـ أبو نعيم ، ج ٩ ، ص ١٤٦ .

(٦٩) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٦١

الفخر الرازي ، ص ١٩٥ .

ابن حجر ، ص ٧١ .

(٧٠) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(٧١) ـ المرجع نفسه ، ص ٩٥ .

أبو نعيم ، ج ٩ ، ص ١٥٠ .

(٧٢) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي ، فقال الحميدي : قال الشافعي ليس أحد من أصحابي أعلم من البويطي ، فغضب محمد وترك مجلس الشافعي ، وجلس البويطي في مجلس الشافعي ، ثم جلس فيه الربيع بعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والبويطي هو أبو يعقوب يوسف بن يحي . دعي إلى القول بخلق القرآن فامتنع فقيد وحمل في أقياده إلى العراق وحبس حتى توفي في أقياده محبوساً سنة ٢٣١ .

وأبو عبد الله محمد بن عبد الحكم حين تغيظ مما جرى في مجلس الشافعي انتقل إلى مذهب أبيه وهو مذهب مالك ، وكان قبل قدوم الشافعي ينتحله . ولكنه مع انتقاله إلى مذهب مالك كان يقول بفضل الشافعي ، وتوفي سنة ٢٦٨ .

والمزني هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي . صنف من كتب الشافعي ومما أخذه عنه « المختصر الكبير » ثم « المختصر الصغير » الذي سار في بلاد المسلمين وانتفعوا به . قال عنه البيهقي : « ... فلا أعلم كتاباً صنف في الإسلام أعظم نفعاً وأعم بركة وأكثر ثمرة من كتابه » . ومات سنة ٢٦٤ .

والربيع هو أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي المؤذن خادم الشافعي . وهو الراوي لكتب الشافعي الجديدة على الصدق والإتقان . قال البويطي : الربيع في الشافعي أثبت مني . وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول لي : ماأحبك إلي . ومات سنة ٢٧٠ .

البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٦٢ .

(٧٣) ـ الفراسة عند العرب ، ص ٧٤ و ٧٥ .

(٧٤) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٧٥) ـ الفخر الرازي ، ص ٢١٠ و ٢١١ .

(٧٦) ـ ابن أبي حاتم ، ص ١٣١ .

(٧٧) ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٧٨) ـ الفراسة عند العرب ، ص ٧٢ .

(٧٩) ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٤ ـ طبعة طهران .

(٨٠) ـ ابن حجر ، ص ٧٨ .

(٨١) ـ البيهقي ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٧ .

(٨٢) ـ كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٨٣) ـ هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٩ .

(٨٤) ـ رجعت إلى مخطوطتين من كتاب الأنصاري الدمشقي محفوظتين في الظاهرية بدمشق .

وفيما يلي أقوال الشافعي الموجودة في كتاب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة :

في الرأس :

١ ـ انخفاش أم الرأس حتى كأنه كرسي دليل على مخالفة الناس .

في العين :

٢ ـ ارتفاع أحد الحاجبين وانخفاض الآخر عند الكلام والنظر وعند الحركة دليل على طبيعة الشر وعلى الدناءة .

٣ ـ العين الشديدة الغور حتى كأنها في نقرة غائصة يستعاذ منه (صاحبها) ومن شره .

٤ ـ العرب يصفون الجفن بالمرض وذلك من موجبات الحسن وهو دليل على الأنوثة (يشاركه في هذا القول الفخر الرازي) .

٥ ـ العين الدائمة الطرف وسرعة التقلب في مركبها دالة على الحمق والجنون والجبن (يشاركه فيه الفخر) .

٦ ـ العين التي تتحرك كأن بها قذى دالة على شهوة النساء والشبق (يشاركه فيه الفخر) .

٧ ـ تشحيم الجفن الأعلى دال على حب العلم وفعل الخير وعلى غفلة ورقة نفس ، ودقة الجفن الأعلى دال على الفهم والاغتلام وغزارة العقل .

٨ ـ العين البراقة الزرقاء بصفرة زرنيخية والخضراء كالفيروزج وفيها مع ذلك نقط حمر كالدم أو بيض شبيهة بالمسامير دالة على الخيانة والشر والسوء (يشاركه فيه أبو بكر الرازي) .

٩ ـ العين الراكدة الرطبة العظمية وهي متحركة الجفن بخفة وجبهة صاحبها ملساء دالة على الحظ وجمع المال ومحبة العلم (ويشاركه فيه أبو بكر الرازي) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الجبين :

١٠ ـ عظم الجبين دليل البله وعرضه دليل قلة العقل وصغره دليل لطف الحركة واستدارته دليل الغضب بسرعة واستطالته مع التغضن وانكباب الحاجبين دليل السفه ودناءة النفس والكذب .

١١ ـ الجبهة الخشنة دليل القحة وضيقها دليل سوء الفهم .

١٢ ـ الجبهة المربعة دالة على جودة الفهم وحب العلم .

١٣ ـ الجبهة الناتئة في وسطها دالة على الحرص والشح .

١٤ ـ الجبهة العالية دليل القحة والشجاعة (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

١٥ ـ الجبهة الناتئة المعقدة دليل الخيانة والغش .

في الأذن :

١٦ ـ الشعر على الأذن دليل على جودة السمع وعلى الجهل وقلة الفهم .

١٧ ـ الأذن الكبيرة ذات الانفراش دالة على الهذر والحمق ورداءة الهمة والكذب (ويشاركه فيه ابن عربي) .

١٨ ـ صغر الأذن دال على قصر العمر .

١٩ ـ الأذن المستديرة الرقيقة الشبيهة بالرق وهي ممسوحة إلى خلف الرأس دالة على الذكاء وخفة النفس والعقل والترف (ويشاركه فيه ابن عربي) .

٢٠ ـ الشحمة الكبيرة النازلة من الأذن دالة على غلظة الطبع وعلى الخيانة . (ويشاركه فيه أرسطو) .

في الأنف :

٢١ ـ غلظ الأرنبة وامتلاء طرفها دليل العي وقلة الفهم وكثرة المزاح .

٢٢ ـ طول الأنف ودقة أرنبته دليل الطيش والحمق وسرعة الغضب .

٢٣ ـ عرض الأنف بمجموعه دليل حب الأذى والفساد .

٢٤ ـ الأنف المقوس القصبة إلى الأرنبة يسيراً دليل النفش والطيش .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٥ ـ انتفاخ القصبة من غير علة دليل حب الجور والعبث بالناس .

٢٦ ـ انتفاخ المنخرين وسعتها دليل معالجة التقحم .

٢٧ ـ تقنطر الأنف حتى كأنه ثلث دائرة دليل الكذب وإظهار غير مافي النفس .

٢٨ ـ حسن الأنف وسبوطته دال على حب النساء والشبق .

٢٩ ـ الأنف الرقيق رأس الأرنبة مع تقوس القصبة وظهور تخاطيط منخرية دليل الاحتياج إلى الناس .

في الفم :

٣٠ ـ غلظ الشفتين دليل الحمق وغلاظة الطبع (ويشاركه فيه بوليمون) .

٣١ ـ الفم المتقدم البارز كالزلوم دليل الشره والبله وكثرة الكلام .

٣٢ ـ استقامة الفم مع صغره يكون (صاحبه) مغتالاً سفاكاً للدماء .

في الأسنان :

٣٣ ـ الأسنان الشبيهة بأسنان الكلب وسيما الأنياب دليل الغدر والحسد .

٣٤ ـ (الأسنان) الكبار المفلجة المختلفة دالة على الطبع الردي .

٣٥ ـ الثقيل الأسنان الغليظ الشفتين دليل على الاغتلام وسوء الهمة والخلق .

في اللحية :

٣٦ ـ (اللحية) المتفرقة فرقتين دالة على الكذب والغدر (ويشاركه فيه ابن عربي) .

٣٧ ـ اللحية الخفيفة جداً بتفريد له (للشعر) وسبوطة دالة على حب الدهان والنفش والشعبذة والكتابة .

٣٨ ـ اللحية التي تشبه في نباتها لحى التيوس دالة على الشبق وحب المال .

٣٩ ـ اللحية المرسلة الجعدة الشعر التي دون الكثة دليل الفطنة والإقدام والعبث بالناس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الوجه :

٤٠ ـ الوجه الناتئ الوجنتين مع غلظ الشفتين دليل محبة الفساد والعبث .

٤١ ـ الوجه المحدب كأنما هو سدس دائرة دليل التهور وسوء الفهم .

٤٢ ـ الوجه المنصف يمنة ويسرة خد ولحي أوسع وأكبر من خد ولحي دليل اضطراب العقل .

في العنق :

٤٣ ـ العنق الطويل الدقيق دال على الجبن وضعف النفس ورقة القلب ، (ويشاركه فيه ابن عربي) .

٤٤ ـ العنق الطويل المائل يسرة أو يمنة مع الحركة دال على قلة ثبات ونقص عقل وخور .

٤٥ ـ نتق الحنجرة دليل البخل والجهل (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٤٦ ـ العنق المسترخي دليل حسن الصوت وسوء الفهم والجبن .

في الكتف :

٤٧ ـ انهدال الكتفين وامتلاؤهما باللحم دليل جودة الطبع وحسن الخلق .

٤٨ ـ قوة عضلة الكتفين دلالة قوة النفس والنشاط (ويشاركه فيه ابن عربي) .

في الظهر :

٤٩ ـ من كان واسع مابين المنكبين فهو فطن نشيط (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٥٠ ـ من كان بارز المتنين مهري الوسط والسلسلة خفيفة والفقرات من غير سمن ولا عبالة ظاهرة يكون قوي الحس نشيطاً نكاحاً (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٥١ ـ من كان أحنى الظهر طويله بارز الفقرات من غير هزال إن كان عنقه مع ذلك قصيراً فهو عابث خبيث النية (ويشاركه فيه ابن عربي) .

في الكف والأصابع :

٥٢ ـ الكف الرقيق الصغير مع قصر الأصابع دليل على سوء الأخلاق وعلى السرقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسوء الفهم (ويشاركه فيه أرسطو) .

٥٣ ـ الأصابع الطوال في الكف اللين الحسن دال على جودة الفهم والطبع .

٥٤ ـ الأصابع المحددة الرؤوس الغلاظ المنابت دالة على سوء الفهم والنهم .

٥٥ ـ الكف الصغير والقصير ذو الأصابع الطوال الرقاق دال على الرقة والخيانة .

في البطن :

٥٦ ـ البطن الصغير المستدير الشكل دال على جودة الفهم (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٥٧ ـ البطن المتسع الطويل دال على النهم والجهل .

في الورك :

٥٨ ـ الإلية الناتئة مع الالتصاق بالأخرى دالة على التأنيث والركة .

٥٩ ـ الورك ذو اللحم الساتر عصبه وعضله من غير عبالة البدن دال على صحة المزاج والشبق سيما المشعر يسيراً .

في القامة :

٦٠ ـ الطويل القامة جداً مع قلة نبات عارضيه بالشعر خفيف العقل رواغ .

في المشية :

٦١ ـ الهاز عطفيه في مشيته بسرعة دليل سوء الهمة والعجلة في الأمور .

٦٢ ـ المحرك إحدى يديه دون الأخرى إذا مشى دليل التكبر والغفلة والشجاعة .

في الصوت :

٦٣ ـ الصوت العالي جداً مع عبالة البدن دال على قوة الشهوة والقدرة على النكاح .

في الضحك :

٦٤ ـ من كان إذا ضحك أخذه الربو فهو جاهل متكبر .

(٨٥) ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

الأستاذ عبد الكريم زهور عدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net